

موضوع حجاجي مرفق بإصلاح

الموضوع: أنهى شقيقك دراسته الجامعية. فصار ينفق يومه بين النوم ساعات طويلة و التردد على المقاهي في انتظار فرصة عمل تناسب مؤهلاته الرقيقة رافضا ما دون ذلك . الأمر الذي عكّر الأجواء ببيتكم فحاولت إقناعه بالبحث عن عمل وإن لم يكن في اختصاصه مستعرضا مخاطر البطالة و مزايا العمل عليه وعلى المجموعة . تحنّث مرّكزا على الحجج التي استعملتها في خطابك ووقعها في نفس أخيك

التحرير:

كثيرا ما تصطدم آمالنا على صخرة الحياة المتكلسة . فنشعر بالخيبة والانتكسار والأسى لكن بعضنا يللم جراحه بسرعة ليمضي على درب الأمل مُتلمّسا طريقه نحو النّجاح في حين يقف البعض الآخر عند تلك النقطة ليعلن الهزيمة . ويستسلم للأيام تعبث به أيما عبث .

وهذا تماما ما حدث لشقيقي فلکم كانت طموحاته كبيرة أيام الدراسة ولكم كانت فرحته عارمة لحظة التخرج إذ ظنّ الحياة حينها تفتح الأبواب على مصراعيها أمامه فإذا بها تُوصدها في وجهه بقسوة مؤلمة . لكن أما من حلّ تُواجه به أزمة التشغيل ؟ أما من خيار أمامنا غير الاستسلام للبطالة المقيّنة ؟ طبعا الحلّ موجود دائما شريطة أن نطرق الأبواب دون كلل أو ملل . لذلك قررت أن أقنع أخي بالانخراط في أيّ عمل شريف يكفل له الكرامة ويكفيه الشرور .

دخلت عليه يوما وهو يستعدّ لمغادرة البيت في اتجاه تلك المقهى المألوفة . فقلت مبتسما:

" أي أخي . كفت عن إهدار شبابك الثمين . و اسع للفوز بفرصة عمل وإن لم تكن في مستوى تطّلعائك . إن العمل يا قرّة العين يجعلك تنعم بالحياة لترتقي بنفسك وبوطنك" رايت على وجهه ابتسامة ساخرة كادت تحجبها نظراته الحزينة ومضى يُمشط شعره ويقلبه في كلّ الاتجاهات في حركات عبثية عصبية كأنه يُحاول التهرب من كلامي . فما زانتي حالته تلك إلا عزما وإصرارا . فأرنتف قائلا: إنك تعيش فراغا قاتلا . تمضي في درب لا تعرف له نهاية . تسير دون هدف . ألم يقل فولتير " العمل يقينا شرورا ثلاثة الفاقة والحاجة والرذيلة " أم تُراك ألفت هذه الشرور وارتاحت لها نفسك؟ لو ركن الجميع إلى الخمول مثلك لبقى الإنسان إلى زمننا يعيش حياة البدانيين لا ماوى لهم إلا الكهوف ولا مأكّل لهم إلا ما جادت به عليهم أشجار الأدغال من ثمار . وقد قال الحكماء الإنسان بلا عمل كالنحل بلا عسل " . لم يطل صمته وصرخ في وجهي وهو يهتّم بالمغادرة : " أخبر من أرسلتك بهذه المواعظ أنني لن أخذ منها مليما منذ اليوم وسأندبّر أمري " صنعقت لما قاله أخي وفهمت أنه قد أساء الظنّ بأمي

فأمسكته من ذراعه ومنعته من المغادرة واسترسلت قائلا : " ها نحن نجني أولى ثمرات البطالة . شاب طالما كان بارًا بوالديه يتهم أمه باطلا . ومن ثمة يُقرّر تحصيل المال بغير عمل . طبعًا لا حلّ أمامك سوى السرقة أو القمار أو لا أريد أن أفكر في هذا ... وهل تظنني أدفعك للعمل فقط لتحصيل مصروفك اليومي . إنّ العمل يا أخي يُحقّق المعجزات . يُحقّق أمالا تفوق الخيال . انظر إلى أصفر الحشرات تلك النملة الذروبة في عملها كيف تتججج في بناء القرى المعقّدة التصميم فتخزّن داخلها ما يقبها قرّ الشتاء وشرّ الحاجة . انظر إلى ذاك الفلاح وهو يرنو نحو الحقل شامخاً رغم تقدّم سنه فتري التّجاعيد تسجر وجهه وتري العضلات القوية تُشكّل ساعده . وتراه يمسح العرق المتصبّب بكمه وابتسامة التحدي لا تفارق مُحياه حتى إذا حلّ وقت الحصاد رأيت بريق النصر في عينيه . أيّ شعور يضاهي هذا الشعور ؟

أنت لا تتعم بلذّة النصر والنجاح ولا تفوز بهذه الطمأنينة وبهذا الزهو لأنك ببساطة ترفض العمل وتقعن بالبطالة . إنّ مثل العاطل يا أخي كمثل عصفور سجين في قفص مغلق عاجز عن الطيران والتحليق بعيدا بل كمثل حبة هامة ملقاة بين الأحياء لا فائدة تُرجى منها " . ما إن أنهيت قولي حتى رجنته يشيح بوجهه عنيّ و ينزع الحذاء ويلقي بنفسه في الفراش ويدفن وجهه بالوسادة ويلج عليّ بالمُفارقة . وهل لي بعد ما رأيت من سوء حاله أن أتركه وحيدا يكتبني بنار كلماتي ؟ اقتربت منه وجلست على حافة السرير وأخذت أداعب خصلات شعره التي بلّتها عرق الحنق والغضب وواصلت كلامي في همس : * اعترني أخي فما أرتب بك إلا خيرا . وأنت تُدرك مدى حبيّ لك . ولكن إلى متى ستبقى تائها هكذا ؟ . أنت من علّمني قول الرسول عليه الصلاة والسلام (اليد العليا خير من اليد السفلى) وأنت أيضا من علّمني قوله تعالى في سورة التوبة (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) أفت من كان يثني بحماسة وهو يتحدّث عن المجد العربي في الزمن العباسي وعن السواعد العربية وعن العلماء والأنبياء الذين خلّدتهم الذّاكرة . أنت يا أخي من فسّر لي دروس التاريخ . ألم تُحدّثني عن إنجازات الفينيقيين والفراعنة والزومان والأغالبة . لولاك أخي ما فهمت قصيدة سالم الشعباني (نحن بالسّاعد أعلينا الوطن) حين قال: " بوفاء الكناحين ونزاع لايلين ..

لنرى صرح البلاد.....شامخا يعلو السحاب .

فبالعمل أخي تحقّق حاجياتك المادية وتتعّم بالراحة النفسيّة وتسهم في الرقي بوطنك وتخليصه من أهوال البطالة وتنتجها الوخيمة .

أطلق أخي زفرة عميقة كأنه أراد التخلّص من حمل ثقيل كان جاثما على صدره . وبدون أن ينظر إليّ رفع كفه لتلتقي بكفيّ وتشدّ عليها في حبّ واطمئنان . كانت تلك لغة النفوس أبلغ من الكلام . جعلتني أوقن أنّ أجراس كلماتي قد رنّت في رأس أخي . ليعلن الثورة على الخمول ويبدأ طريق العمل .